

مفارقة الإنسان والتقدم رؤية مقارنة

أ. د. عماد الدين خليل (*)

تقديم

من زوايا ثلاث يعالج كل من الكاتب الروماني كونستانتان جيوروجيو في رواية (الساعة الخامسة والعشرون)، ورجل القانون الفرنسي مارسيل بوازار في (إنسانية الإسلام)، والنورسي في (رسائله) إشكالية المفارقة المحزنة بين الإنسان والتقدم.

ولطالما تساءل المتسائلون: أما كان يتحتم على التقدم العلمي والمعرفي أن يكون في خدمة الإنسان، كائناً متفرداً أنيطت به مسؤولية كبرى، وأن يسير جنباً إلى جنب مع مطالب هذا الكائن المتميز المسؤول، ويستجيب لأشواقه وحاجاته كافة... بمعنى ألا يقتصر على تلبية مطالب الحس، بل أن يغطي كل ما يهّم الإنسان في هذا العالم من أجل أن يحيا حياة متوازنة، متوحدة، آمنة وسعيدة؟

ما الذي حدث لكي يمضي التقدم، أبعد من هذا، فيلحق بالإنسان، والحياة البشرية المزيد من المنغصات والمتاعب، ويجرّدها شيئاً فشيئاً من عمقها الحقيقي، ويضع بينها وبين أهدافها المشروعة الحواجز والأسلاك الشائكة؟

جيوروجيو وبوازار والنورسي يقفون طويلاً عند هذه الظاهرة غير المبرّرة، فيسلطون الأضواء عليها، ويقترحون سبلاً للخروج من الورطة. أحدهم برؤية أديب، والآخر برؤية قانون دولي، والثالث برؤية مفكر موسوعي يملك رؤية طائر View of Bird يضع العالم كله تحت المنظور.

ولسوف نجد كيف يلتقي هؤلاء الثلاثة في نقاط الارتكاز الأساسية للمفارقة، وفي العديد من الحلول والمرئيات.

إنها أزمة تضيق الخناق على الإنسان، بينما كان المفروض أن يحدث العكس، فلماذا؟ ومن ثم غدت قضية جل فلاسفة العالم المعاصرين، وحكمائه ومفكره وكتابه وأدبائه.

ولن يتسع المجال في بحث محدّد كهذا أن يلاحق معطيات هؤلاء جميعاً، ولذا سيتم الاكتفاء بثلاثة فحسب، وهذا يكفي، لأن ما قدّموه يضع يده على الجرح، ويقدم جانباً من أسباب العلاج.

١- كونستانتان جيوروجيو

في رواية الكاتب الروماني كونستانتان جيوروجيو: (الساعة الخامسة والعشرون)^(١)، تبدو أزمة الحضارة الغربية واضحة للعيان، إن مأسيتها تعرض علينا كما لو كنا نشهد مسرحية حاضرة: الإنسان الذي سلبت حرّيته وأدخل في دوامة من آية قاسية أحالته إلى (رقيق) وأفقدته حرّيته وإرادته الذاتية، (المواطنون) الذي ملأوا الشوارع ودور الحكومة والمؤسسات في جماعية سحقت كل ما هو فردي، وتشابهية دمرت كل إمكانية للتنوع والإبداع، وتعميمية سحقت كل اتجاه شخصي، ومادية ردمت كل منابع الحب والإيمان في وجدان الإنسان.

النظم الصارمة التي أوجدت جحراً خانقاً بات لا يصلح للتنفّس... الصراع من أجل تأكيد أكثر للآلية، واستعباد أشد للإنسان، وتحطيم أعنف للقيم، وتجفيف لا يرحم لمرابع الوجدان.

كل منكم سيصرخ، بعد مشاهدة منظرين أو ثلاثة من مسرحية الحضارة المعاصرة هذه "الآن لست أريد متابعة النظر، لأنني تعبت ولأن المشهد طال أكثر من المعتاد، انني -إذا استمررت على المشاهدة- فسوف لا أرى إلا الانقراض. سأرى مدناً متهدمة، ورجالاً متهدمين، وبلدناً وكنايس وأمالاً كلها متهدم محطّم"^(٢).

(١) ترجمة فائزكم نقش، الطبعة الثالثة، دار البقطة العربية، دمشق - ١٩٦٦م.

(٢) الساعة الخامسة والعشرون، ص ٥٠٨-٥٠٩.

صحيح أن جيوروجيو يعالج في روايته هذه مأساة الإنسان الغربي في النظم الشمولية، أممية كانت أم قومية شوفينية، إلا أنه -وكما سنرى- لا يغفل عن إدانة النظم الرأسمالية بما تنطوي عليه من آلية وذرائعية ساقط الإنسان هي الأخرى إلى التعاسة والعذاب.

إن جانباً من الأدب الغربي اليوم -وبخاصة الرواية والمسرحية- يشكل أهمية كبرى في أية دراسة جادة للحضارة الغربية المعاصرة، لأنه يعكس، بصدق فني مدهش، الأزمة التي تعانيها هذه الحضارة في جناحيها الجماعي والفردى، والضغط القاسية التي تسلطها على الإنسان فتمزقه وتسحقه. إن ردود الفعل التي يجابه بها الإنسان الغربي المعاصر حضارته المتأزمة هذه، تبدو واضحة للعيان عبر عدد كبير من الروايات والمسرحيات التي كتبها أدباء وفنانون كبار أدركوا جوانب عميقة من الأزمة، وكلهم بلغ درجاتها الدنيا، وجاس في سراديبها وكهوفها، وما أن وصل بعدها الأخير حتى غطاه الظل وأغرقه الظلام^(١)، فهل نتظر نحن منه أن يجد لنا مصدر الضوء، ويدلنا على طريق الخروج؟

إن ما تقدمه لنا هذه الآداب والفنون يقتصر على الخطوة الأولى: تحديد ملامح المأساة، أما الخطوة التالية التي ترسم لنا طريق الخلاص، فما ينتظر من هؤلاء أن يتقدموا إليها، لأنهم ليسوا (على شريعة من الأمر)، وهي خطوة نلقي مسؤوليتها العظمى على أعناق أولئك الذين حملوا أمانة (الكتاب) !

لماذا (الساعة الخامسة والعشرون)؟ جيوروجيو يجيبنا على هذا السؤال "إن الجوّ بات لا يصلح للتنفّس... ان الجوّ بات خانقاً... الجوّ الذي يعيش فيه المجتمع الحاضر. إن الكائن البشري لن يستطيع احتمالها. إن البيروقراطية والجيش والحكومة والتنظيم الحكومي والإدارة، كل هذه الأشياء تساهم في تسميم الجوّ ليخفق الإنسان. إن المجتمع الحاضر يستخدم الآلات والرقيق العنصري. لقد خلق من أجلها. ولكن الإنسان محكوم عليه بالاختناق غير أن بني الإنسان لا يشعرون بذلك... لقد وضعت في روايتي الطريقة التي يموت بها رجال هذه الأرض الذين يحيون في عذاب مريع وقلق قاتل، تخنقهم الأجواء غير الصالحة للحياة"^(٢).

(١) عماد الدين خليل: تهافت العلمانية، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت - ١٩٧٥م، ص ١٧٦.

(٢) الساعة الخامسة والعشرون، ص ١٨٥.

إن التقدم التقني الذي أحرزته الحضارة الغربية، لم توجهه قيم الدين يوماً، بل إنه انطلق أساساً وأخذ طريقه يوم أعلن العلم انتصاره على الدين -أو هكذا يتوهمون- فلا تعجب -إذن- إذا ما تضاعف الإنسان يوماً بعد يوم إزاء هذا التضخم الآلي، لأنه فقد الإيمان بكرامته، وغض بصره عن التطلع إلى قيم علوية، وسجد للآلة. ولأول مرة يقدم كاتب غربي تحليلاً رائعاً يتميز بالجدة والحيوية لهذه العلاقة غير المتكافئة بين الإنسان والآلة.

إن سيطرة الآلية على الحضارة الغربية قوّضت قيماً قديمة وأوجدت أخرى. سحق مكتسبات قرون طويلة من القيم الخلقية والاجتماعية والنفسية والروحية، وأحل محلها قيماً منتزعة من روح الآلة الصّماء وعلاقتها الرتيبة وتجريدها الميّت. وما نحن نجد هذا التقابل المحزن بين نوعين من القيم في الحضارة المعاصرة: الجماعية ضد الفردية، التشابه ضد التنوع، التعميم ضد التخصيص، المادية ضد الروحية، الرمزية ضد الشخصانية، القدر ضد الحرية، التجريد ضد الحياة، التكرار ضد التطوّر الخلاق، الموضوعية ضد الذاتية، والظاهر ضد الباطن "إن ظهور العصر التقني قد حطم كل ما ربحناه وأقمناه خلال قرون من الحضارة. لقد أدخل العصر التقني من جديد احتقار الكائن الإنساني... لقد تحول الإنسان اليوم إلى مقياسه الاجتماعي فحسب"^(١).

والفردية والتنوع هما جزء أصيل من قدر الله وخطته المعجزة لتكوين الحياة وتحريكها وتطويرها الأبدي الخلاق، لذا فإن ما تشهده الحقبة الحاضرة من التاريخ يمثل انحرافاً كبيراً عن نواميس الكون والبشرية" إن البشر بهذا الشكل يخطئ خطيئتين خطيرة ويعتبر مذنباً حيال الله. أننا نعمل بكل قوانا ضد خيرنا الخاص وضد الله - سبحانه- على الأخص، وذلك هو آخر منحدر بلغت إليه الكتلة البشرية. وفي يوم من الأيام سوف ينقرض هذا المجتمع كما انقرضت مجتمعات كثيرة خلال حقبات التاريخ"^(٢).

إن اعتماد الغرب على الأساليب الرياضية والمنطقية والإحصائية في توجيه الحياة وتطويرها لن يحقق إلا كمالاً ظاهرياً، ولكن هذا سيكون على حساب الحياة الباطنية، الحياة في مجاريها الحقيقية العميقة التي تصنع الحضارة وتوجه التاريخ وتسير بالبشرية

(١) المرجع نفسه، ص ٢٢٢.

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٥٢.

إلى الأمام. إن ردم هذه المنابع الباطنية سوف يقضي على سرّ التطور الذي وهبه الله للإنسان، ومن ثم فإن هذا الكمال الاجتماعي السطحي سوف يمتد أفقياً فحسب، ويفقد -بالتدرج- قدرته على الامتداد العمودي، صوب البعد الثالث في الإنسان. وهذا يعني أنه تطوّر مأسور بقيود الزمن، وإن المستقبل سوف يشهد تحطماً مريعاً لمجتمع يركن إلى القيم الجماعية الظاهرة في تماسكه "إن حياة الإنسان لن يكون لها وجود في اللحظة التي تنقلب فيها إلى الجماعية والآلية، وإلى قوانين تتعلق بالآلة. إن هذه القوانين لا يمكن مطلقاً أن تعطي لوناً لحياة البشرية"^(١).

والحضارة المعاصرة، بعد هذا، لا تمتلك عناصر البقاء، إنها فضلاً عن ماديتها الطاغية، وآيتها الرتيبة، وقياسها التجريدي الميت، وفضلاً عن إتاحتها المجال لظهور أبشع وأقسى طبقتين في التاريخ: الرقيق التقني والمواطنون، سيطرتا على مقدرات الإنسان وعرضتا وجوده للاختناق، وفضلاً عن اتفاق الغرب والشرق على تحطيم قيم الإنسان ومثله، وسحق وجدانه وردم منابع عاطفته ووحيه وإلهامه، فضلاً عن هذا وذاك فهي حضارة التكاثر الذي يحيل الحياة إلى لهاث دائم وتفتيش لا نهائي عن الذهب: "سوف تنتزعون الحياة غداً بحثاً عن الذهب تحتها، ثم تنتزعون العضلات عن العظام بحثاً عن الذهب، وبعدها تحطمون العظام لتنظروا ما إذا لم يكن فيها شيء من الذهب، وأخيراً تضغطون على أدمغة الرجال، وتفتشون في أمعائهم، وتمزقونهم إرباً بحثاً عن الذهب. ستحطمون القلوب وتجزؤونها بحثاً عن الذهب... الذهب الذهب! إننا اليوم في البداية: إنكم لا زلتم تبحثون فوق الجلد، لكن الجلد سينزع والتفتيش سيستمر"^(٢).

الحضارة التي ولغ فيها الإنسان في الدماء حتى غدا شيطاناً مريداً: "له وجه إنسان ولكنه ليس إنساناً. إنه آله، إنه الشيطان، إنه يشبه الإنسان بكليته باستثناء الروح. لقد ولغ الآخرون جميعاً في الدم، وهم الآن كالعفاريت: انهم ليسوا بشراً... لم يبق بين كل هؤلاء رجلاً واحداً يمكن أن يكون إنساناً"^(٣).

هل ثمة من أمل؟ الغربيون عندما يصلون إلى هذه النقطة يحلمون، وتمتد رؤاهم إلى مستقبل يخرج فيه الإنسان من المأزق. كيف يتم ذلك، وفي أي طريق؟ انهم هم أنفسهم

(١) المرجع نفسه، ص ٤٥٤-٤٥٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٧٧.

(٣) المرجع نفسه، ص ٤١٤-٤١٥.

لا يعرفون. وهذا أمر طبيعي لأي إنسان لا يتلقى عن الله. كثيرون هم أصحاب الأحلام، وكثيرون هم أولئك الذين رسموا لنا أحلامهم في (يوتوبيات) وعوالم مثالية لم يتح لأي منها ان يجد طريقه إلى التحقق... من عهد أوغسطين -حيث فقدت المسيحية روحها وقطع الإنسان صلته الحقيقية بالله- وإلى عهد كاتبنا الروماني هذا، عبر أحلام (سافونا رولا) و(توماس مور) والاشتراكيين الطبوائيين، و(نيتشه) و(اشبنغلر) و(تويني) وغيرهم كثيرون. ذلك أن المصدر لا يشفي المرضى، والأعمى لا يهب النور للمتخبطين في الظلمات... إن هنالك طريقاً واحداً للخلاص ذلك الذي جاء الأنبياء (عليهم السلام) ليمهدوه للبشرية، وجاء الرسول (صلى الله عليه وسلم) ليضع معالمه الأخيرة، ذلك هو طريق التلقي عن الله والإسلام المطلق لألوهيته وحاكميته. هذا إذا كنا نريد خلاصاً حقيقياً وإلا فستظل الأحلام تخدرنا عن الرؤية الحقيقية، وتعد بنا عن بذل الجهد والتشمير للكفاح.

وثمة سؤال ملح يفرض نفسه هنا وهو أن الحضارة الغربية المعاصرة تمثل قمة ما أحرزته البشرية من تقدم علمي وتقني، فهل يعني نقد هذه الحضارة رغبة سلبية في التخلي عن هذه المكتسبات؟

إن سؤالاً كهذا لا مبرر له على الإطلاق. أولاً لأن هذه المكتسبات هي حصيلة تاريخ طويل من الكد والجهد المضمي أسهمت فيه كل الأمم والحضارات وهو ليس حكراً على المجتمع الغربي. ثانياً أن هذه المكتسبات العلمية والتقنية هي في حد ذاتها حيادية الطابع، إذ لا عقل لها ولا إرادة ولا روح لكي تتحكم في مصير البشرية، وإنما الذي يعطيها التوجه صوب هذا الطريق أو ذاك هو عقل الإنسان وإرادته ورؤيته للكون والحياة والإنسان، بمعنى آخر أن الفلسفة التي تصدر عنها الحضارة المعاصرة هي السبب في هذه الوجهة المدمرة التي تتجه إليها القوة الصناعية في العالم. ثالثاً لأن الإسلام يجعل الحرص على التقدم، واستغلال قوى الطبيعة، واحتضان المكتسبات العلمية، واجباً محتمماً على المسلمين: دولاً وجماعات ومؤسسات وأفراداً، ولكنه لا يسمح أبداً بأن يستعلي (شيء) في الأرض -غير الله سبحانه- على الإنسان الذي كرمه خالقه وحمله في البر والبحر، وفضله على كثير ممن خلق تفضيلاً. ومن ثم تبدو مأساة الحضارة المعاصرة في أنها أخضعت الإنسان للأشياء فأشعرته بالدونية، واستعبدته، وكان لا بد من العقاب.

٢- مارسيل بوازار

إن ما يعاينيه الإنسان في البيئات التي رفضت الإيمان، أو عزلته عن مجرى الحياة الواقعة من تعاسة وازدواج وتمزق وشقاء نفسي وروحي وعاطفي واجتماعي، رغم ارتفاع منحنيات الإنجاز المادي، أمرٌ ملحوظ ينطق به واقع الحال هناك، وتؤكدته شهادات المفكرين وإعلامهم، الذي يمكن للمرء أن يلتقي به صباح مساء في عصر المعلوماتية والتواصل السريع.

ثم إن هذا النشاط العلمي المنشق عن مطالب الإيمان اندفع باتجاه اغراءات القوة والتسلط، ونداء الأنايات العرقية والدولية والمذهبية، ومضى أبعد من هذا باتجاه كل ما هو لا أخلاقي في السلوك البشري لكي يحول المنجزات والكشوف العلمية إلى سلاح يشهر بوجه الإنسان وليس لصالح الإنسان.

إن إنتاج القنابل الذرية والهيدروجينية والنيوترونية، والأسلحة الكيماوية والجرثومية... الخ... واستعمالها في اللحظات الصعبة ليؤثر بشكل واضح على الكارثة التي يمكن أن يساق إليها الإنسان والبشرية، إذا أتيح للعلم أن يظل على جموحه، على خروجه عن مطالب الإيمان العليا، على عدم انضباطه بالقيم والموازن الإلهية العادلة التي تجعل القوة والحكمة -دوما- في كفتي ميزان.

هذا إلى أن المعرفة المؤمنة، على خلاف المعرفة اللادينية أو الملحدة، تسعى لأن تمنح أكلها للناس كافة، لا تحكّمها أنانية الحفاظ على السرّ، وحجب الاكتشاف -بدافع براغماتي- عن الآخرين. إن الإنسان، مطلق إنسان، هو المستفيد في نهاية الأمر من المعرفة المؤمنة، وبالمقابل فإن عشرات من الأمم والشعوب لم تحرم بالمعرفة اللادينية من حقها المشروع في الاستفادة من ثمار هذه المعرفة فحسب، وإنما وجهت نتائجها وكشوفها إلى أسلحة فتاكة لتدمير هذه المجتمعات واستعبادها والهيمنة على مقدراتها.

والباحثون الغربيون أنفسهم انتبهوا إلى هذا، وقدموا شهاداتهم بهذا الخصوص، والتي تجيء كاعتراف حزّ مدعم بالقناعات العقلية، وموثق بالرؤية المقارنة لما يتضمنه الإسلام من قيم وخصائص متميزة، وفعالة، يمكن أن تمارس دورها في صياغة حاضر الإنسان ومستقبله، وأن تردم الفجوة في مفارقة العلم والتقدم.

إن هذا الدين، كما يقول (مارسيل بوازار) رجل القانون الفرنسي المعاصر "يعود إلى الظهور في العالم المعاصر بوصفه أحد الحلول للمشكلات التي يطرحها مصير الإنسان

والمجتمع"^(١)، ولطالما أعرب عن اقتناعه "بأن في وسع العالم الإسلامي -من بين عوالم أخرى- أن يقدم مشاركة أساسية في تكوين المجتمع الدولي المرتقب"^(٢)، وأنه "يبدو أحد العوامل الممكنة الهامة في الإنسانية العالمية الحديثة... وهو مستمر في البحث عن الأشكال الكفيلة بالتعبير بصورة ملائمة عن تطلعاته"^(٣). والمسلمون، كما يؤكد الرجل، "لا يشكون على الإطلاق في أن التعاليم المنزلة والقيم المتراكمة عبر العصور كفيلة بتقديم حل لمعضلات العالم المعاصر"^(٤).

ولم يفت (بوزار) أن يشير إلى أن التقدم العلمي المادي لا يكفي وحده ما لم تضبطه القيم الخلقية، فتوجهه بالتالي لصالح الإنسان. ومن خلال هذه الرؤية الأخلاقية للنشاط المعرفي المادي يمكن للإسلام "أن يؤدي دوراً حقيقياً في تنظيم العالم المعاصر عندما يتقدم إليه بمفهومه السامي للقيم الخلقية"^(٥).

وأهمية المشاركة الإسلامية تبدو أيضاً في نظر (بوزار) في التوازن الذي يمنحه الإسلام، بما أنه تعبير عن روح ديني، لمسيرة المجتمع البشري، بين التقدم المادي (التقني) وبين المطامح الروحية والإنسانية عامة... لاسيما وأن "الانخراط في المجتمع التكنولوجي، والمواجهة بين الإسلام والثورة التقنية، لا تدفع المسلم إلى إنكار موقفه الديني بل إلى تعميقه أمام العالم وأمام الله، متوجهاً عليه محاولة إدراك الإمكانيات بشكل أفضل في إطار إسلامي شامل"^(٦).

إن (بوزار) يضع يدها هنا على واحدة من أهم خصائص المنظور الإسلامي للنشاط الحضاري. إنها معادلة التوازن المَلح والمطلوب بين الديني والديني، بين السماء والأرض، وبين الروح والجسد. فليس ثمة إيمان متحقق في واقع الحياة إن لم يعبر عن نفسه في إطار نشاط تتداخل فيه وتتوحد وتتناغم سائر الثنائيات. فالمواجهة بين الإسلام والثورة التقنية بالتالي، ليست مواجهة أضداد متقابلة، بل هي مقارنة واحتواء

(١) إنسانية الإسلام، ترجمة عفيف دمشقية، الطبعة الأولى، دار الآداب، بيروت - ١٩٨٠م، ص ٤٣١.

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٣٩.

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٨٧.

(٤) المرجع نفسه، ص ٣٣٠-٣٣١.

(٥) المرجع نفسه، ص ٣٦٩.

(٦) المرجع نفسه، ص ٣٨٧-٣٨٨.

وتوظيف للقدرات والامكانيات التقنية من أجل تكوين حياة إسلامية أكثر أصالة وتقدماً. إن القناعة الدينية كما يستنتج (بوزار) "تفرض نفسها حكماً مطلقاً على كل المستويات، ولا يمكن بدونها، أو بالحري على النقيض منها، مواجهة أي تغيير اجتماعي ولا أي تجديد مادي"^(١).

وهذا الارتباط المحتوم بين الدين والتكنولوجيا في المنظور الإسلامي، لا يعني البتة أن الحضارة الإسلامية ستقود "تطورها داخل انبئق"، وبمعزل عن العالم، بل على العكس تماماً، فإن هذه الحضارة "المتسامحة والمنفتحة بشكل طبيعي، تتطلع إلى العمل بصفة شريك فعال في الحياة الدولية"^(٢). ويكفي أن نتذكر الجنوح المادي الذي تعانیه حضارة الغرب، يكفي أن نفكر في احتمالاته المنذرة بالخطر، المتوقعة لأماني الإنسانية، وللإنسان ذاته، لكي نعرف أن دخول الإسلام إلى الساحة، وإعادته الأمر إلى نصابه بتحقيق التوازن المطلوب، ليس مجرد مشاركة فعالة، وإنما هو عملية إنقاذ للوضع البشري المنحرف عن الصراط.

وإذ يؤكد (بوزار) ما يقدمه القرآن الكريم في هذا السياق من "ثقة مطمئنة، وحافز قوي في وقت معاً" فإنه يحذّر من "أن إسلام المستقبل ودوره في العلاقات الدولية" لا تجيء به الأماني والأحلام وإنما هو "رهن بما يصنعه المسلمون أنفسهم"^(٣).

(بوزار) يشير إلى احتمال قيام نهضة مستقبلية في عالم الإسلام تستمد مقوماتها "من طابع الرسالة الإسلامية الإجمالي وأثره الحاسم في وجدان المسلمين" ولكنه مرة أخرى لا ينسى أن يشير - كذلك - إلى أن نهضة كهذه قد تتضمن اليسر والعسر "في آن معاً"، ويعتبر هذه المسألة "بديهية" يتحتم أن "يدركها المسلمون تمام الإدراك"^(٤).

(بوزار) محق في هذا لأنه ينظر إلى المسألة من جانبيها، فلا يسدّ الطريق أمام احتمالات المستقبل، ولا يمّنّي المسلمين بحلم سهل تصير فيه المعجزة أمراً مشهوداً وهم قاعدون. إنما لا ينسى (بوزار) أن يعيد تأكيده المرة تلو المرة على أن نهضة كهذه تظل مشروطة ببعدها الديني، ذلك "أن الإسلام الراشد يرفض فصل الروحي عن

(١) المرجع نفسه، ص ٣٨٨.

(٢) المرجع والصفحة نفسها.

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٨٩.

(٤) المرجع نفسه، ص ٧٤.

الزمني"^(١)، وبالتالي فإن أية محاولة لبناء نهضة على أساس لا ديني، سيؤول إلى الفشل لأنه لا يعدو أن يكون تزييفاً على السطح، عملاً مصطنعاً لا يحاول أن يمد جذوره في الأرض فيسهل اقتلاعه... بينما يظل الإسلام وحده "بدايناميته كفيل بإقامة مجتمعات جديدة"^(٢). وما يزيد إسلامية الصياغة المستقبلية للنهضة المنشودة تأكيداً، أن المسلمين، كما يلحظ (بوزار) "يعون الاضطراب النفساني الذي تعانیه الحضارة الصناعية والمادية، ويثقون في الامكانات الاقتصادية المستقبلية للدول الإسلامية" ولذا يجدون أنفسهم في الطريق "للحصول على ضمانات ذاتية تسهل لهم اكتشاف أشكال سياسية واقتصادية أصيلة متوافقة مع روح التنزيل بشأن الجماعة، ويكون تطبيقها بالتالي أيسر على صعيد الممارسة العملية"^(٣).

والمسلمون، كما يؤكد (بوزار) "لا يشكون على الإطلاق في أن التعاليم المنزلة والقيم المتراكمة عبر العصور كفيلة بتقديم حل لمعضلات المجتمع المعاصر بإعادة بناء مؤسسات الإسلام السياسية وإنعاش أصالته الخلافة. ويبدو أن (الإسلام) يشكل أفضل الوسائل الممكنة لإعادة بناء مجتمع ما بعد الاستعمار، وتلك هي دعوته الروحية والسياسية والدولية الحقيقية"^(٤).

يواصل (بوزار) تحليله فيشير إلى "أن الإسلام دين حي ودينامي يحاول إيجاد مجلى لقوته الداخلية للاشتراك في الحياة الدولية المعاصرة، وفي مساهمته أن تكون جوهرية، لا لأنه يملك فقط تجربة عمرها أربعة عشر قرناً في العلاقات بين الشعوب، بل لأنه ينقل -كذلك- رؤية أخلاقية للغاية من القانون الدولي، معتبراً أن الإنسان في التحليل الأخير رعية من رعايا النظام وهدف أخيراً من أهدافه"^(٥).

ويؤكد (بوزار) أن ليس ثمة أمام الدول الإسلامية "أي خيار بديل لبناء مستقبلها" وأن ليس على المفكرين المسلمين أن يعدّوا بناءً (ايدولوجيا) فهذا أمرٌ حاصل، إنما

(١) المرجع نفسه، ص ٧٨.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٥٥.

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٧٥-٣٧٦.

(٤) المرجع نفسه، ص ٣٣٠-٣٣١.

(٥) المرجع نفسه، ص ٤٢٦-٤٢٧.

عليهم "أن يخلصوا الإسلام من ثقل التقاليد المتركمة فيعود كما كان في البدء: تحرير العقل وثورة الفكر الحرّ وتوطيد الإنسان"^(١).

العودة إلى النبع... ذلك هو المطلوب، دون إنكار -بطبيعة الحال- للخبرات (التاريخية) العقدية والفقهية الأصيلة التي تشرح وتوضح وتلاحق المتغيرات، وهذه بالتأكيد ليست (التقاليد المتركمة) التي يعنيها (بوازار). والمهم أن العودة إلى النبع هي القاعدة والمنطلق، فهناك في كتاب الله وسنة رسوله (صلى الله عليه وسلم) يمكن أن نجد الإجابة على كل سؤال، والتخطيط لكل ما هو كائن، وما يمكن أن يكون، على مستوى الروح أو المادة، السماء والأرض، الدين والسياسة معاً... إن الإسلام المعاصر، بطموحه ودايناميته، في حالة استعادة كاملة لدعوته، ديناً مفتوحاً يفرض قيماً جوهرية دائمة. وها هوذا الإسلام الديني يمتد ويشع، والإسلام السياسي يترسخ ويتوطد"^(٢).

يمضي (بوازار) لكي يؤكد النزوع التجاوزي للإسلام الذي لا يقف أو يسكن عندما هو كائن، بل يمضي نحو الأحسن والأعلى صوب ما يجب أن يكون. إن الإسلام -كما يلحظ الرجل- يخلق "مثالية حقيقية لأنه خضوع لنظام استعلائي". وعندما يورد (بوازار) كلمة (حقيقية) مضافة إلى المثالية الإسلامية، فإنه يعني ما يقول على وجه التحديد، فإن مثاليات شتى حلم بها مئات الوضعيين واتباع الأديان المحرّفين، فلم تتحقق ولم تصنع شيئاً لأنها في الواقع لم تكن (حقيقية). ها هنا حيث (الداينامية) التي (يولدها) المناخ الديني في الإسلام، وحيث النزوع الدائم إلى فوق، وحيث "التعبير عن المجتمع ليس تبعاً لما هو عليه وإنما لما يريد أن يكون"^(٣)، كقيلة بأن تقرّب المثال، أو تقترب منه، فتجعل من معطياته متحققة في العالم، متجذرة في الأرض.

ويلجأ (بوازار) إلى الخبرة التاريخية لكي يؤكد، بل يشدّد "على صلاحية الإسلام للزمن الراهن" ولكل زمن أت بطبيعة الحال، فإن وراء هذه الخبرة وتلك الصلاحية "قناعة دينية" تحمل "ديمومتها" التي تتجاوز نسيب الزمن والمكان"^(٤). وما يلبث

(١) المرجع نفسه، ص ٣٨٥.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٨٨.

(٣) المرجع نفسه، ص ٤٣١.

(٤) ينظر: المرجع نفسه، ص ٤٢٢.

(بوازار) أن يلخص الأمر كله بهذه الكلمات: "سوف يستعيد الإسلام مصيره دون ريب إذا حكمنا عليه من خلال القدرة الخارقة التي أثبتتها تاريخياً على التكيف والانبعاث"^(١).

٣- سعيد النورسي

تمثل مفارقة الإنسان والتقدم إحدى نقاط الارتكاز في فكر النورسي، فهو يرى أن العلم والتقدم، والمعطى الحضاري في نهاية الأمر، لن يحقق السعادة المرجوة للإنسان ما لم تضبطه وتوجهه القيم والتعاليم المنزلة من السماء، حيث يلتقي الوحي والوجود بتناغم وتناسق يمنحان الفعل الحضاري مغزاه الذي يتوافق ووظيفة الإنسان في هذا العالم، باعتباره كائناً مستخلفاً سخر له العالم، وأريد منه منذ لحظات الخلق الأولى، أن يتلقى "الكلمات" من السماء للتحقق بأمانة الاستخلاف المنضبط في هذا العالم، وإلاّ جنّحت به الجوائح وانحرفت به عن الصراط، وساقته صوب الطرق المعوجّة، والنهايات المسدودة، وملاّت حياته بالتعاسة والآلام والعذاب: ﴿... وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعاً فَمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾﴾ (البقرة: ٣٦ - ٣٩).

والنورسي في هذا ينطلق من التصوّر القرآني لمهمة الإنسان في الأرض، ولطبيعة وظيفته الحضارية فيها، وهو يلتقي، بشكل من الأشكال، برؤية (جيوروجيو) حول الإنسان المعذب الذي ساقته الآلية المجردة عن بعدها الإنساني، كما دفعته النظم الوضعية الكافرة والقيادات الطاغوتية الضالة إلى التعاسة والضياع. كما أنه يلتقي مع (مارسيل بوازار) في ضرورة أن ينبثق النشاط العلمي، والحضاري عموماً، من حيثيات رؤية إيمانية تمنح العلم والحضارة مغزاهما الإنساني، وتدفعهما لكي ينسجا معطياتهما لصالح الإنسان وليس ضد الإنسان.

والنورسي في عروضه لمفارقة الإنسان والتقدم يقف طويلاً عند الثمار المرة التي تمخضت عن مدنية لا تؤمن بالله ولا باليوم الآخر، ولا ترعى حرمة للإنسان أو حقاً. وتعد الحروب الكبرى واحدة من أشنع هذه الثمار التي جرعت البشرية ويلات وأهوالاً يصعب وصفها، وكان يمكن أن تتجنبها لو قدّر لها أن تضبط نشاطها العلمي والحضاري

(١) المرجع نفسه، ص ٤٣٢.

بمعايير الإيمان، وأن تلجم إغراء القوة بموازين الحكمة فلا تنفلت من عقابها وتضرب على غير هدى، وأن تجعل الفردية والجماعية، أو المواطن والأمة، كفتي ميزان فلا تفرط بأحدهما على حساب الآخر: "إن القانون الأساس لسياسة البشرية [التي لا تستهدي بهدي الله] هو أن يضحى بالأفراد من أجل سلامة الأمة، ويفدى بالأشخاص حفاظاً على الجماعة، ويرخص كل شيء في سبيل حماية الوطن. فجميع الجرائم البشعة التي ارتكبت في البشرية إلى الآن إنما ترتكب بالاستعمال السيئ لهذه القاعدة... التي ليس لها حدّ معين ولا ضوابط مخصصة... إن الحربين العالميتين قد نشبتا من سوء استعمال هذا القانون البشري الأساس فأبادت نهائياً ما توصلت إليه البشرية من رقي منذ ألف سنة، كما سمح هذا القانون بأخذ تسعين بريئاً بجريمة عشرة من الجناة، وأفتى بإبادتهم، كما سمح بتدمير مدينة كاملة لجريمة مجرم واحد لأغراض شخصية مستترة تحت اسم المصلحة العامة"^(١).

وما يلبث النورسي أن يتقدم بالبديل القرآني الذي يضع الأمور -دائماً- في نصابها الحق "وهكذا وجدت عوضاً عن هذا القانون البشري الغادر، القانون الأساس للقرآن العظيم... وذلك في الآيتين: ﴿... وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (الأنعام: ١٦٤). ﴿... مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا...﴾ (المائدة: ٣٢). فهاتان الآيتان تعلمان القاعدة الجليلة الآتية: لا يؤخذ أحد بجريمة شخص آخر. ثم أن البريء لا يضحى به -حتى من أجل جميع الناس- دون رضاه. ولكن لو ضحى بنفسه، بإرادته ورضاه، فتلك مرتبة الشهادة. هذه القاعدة الجليلة هي التي ترسي العدالة الحقة في البشرية^(٢). ثم يخلص إلى القول "فما لم يؤخذ هذا الدستور قانوناً أساساً فإن المجتمع البشري سيتردى برגיעية وحشية إلى أسفل سافلين مثل الدمار الفظيع الذي ولدته الحربان العالميتان"^(٣).

ودائماً تجيء الحروب نتاجاً محتوماً للدستور الديوي الظالم الذي يتشبث به أهل الدنيا: "دستور الجدل والصراع وفي نطاق الحياة الفانية بأبشع صورها وأظلمها، حتى

(١) بديع الزمان سعيد النورسي: كليات رسائل النور ٧، الملاحق في فقه دعوة النور، ترجمة إحسان قاسم الصالح، الطبعة الأولى، دار سوزلر للنشر، استانبول - ١٩٩٥م، ص ٣٧٦-٣٧٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٧٧.

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٧٤.

يضحي في سبيلها بالمقدسات الدينية حصولاً على حطام الدنيا، لذا يلقبهم القدر الإلهي في عذاب جهنم معنوية من خلال جرائمهم التي يرتكبونها"^(١). تلك هي سنة الله في خلقه ﴿... مَنْ يَعْمَلْ سُوءاً يُجْزَ بِهِ...﴾ (النساء: ١٢٣) ولقد أقام الغربيون الذين وضعوا بينهم وبين تعاليم السماء سدّاً، حياتهم على مفاهيم الغلبة والصراع، دون أن يضبطوها بموازين الحكمة والوفاق، فكان هذا الذي كان.

ومن خلال هذه الرؤية الصائبة التي تزد الأمور كافة إلى موازين الاستبصار بهدي السماء، يؤشر النورسي على الأهداف الحقيقية للحرب "فهذه الحرب المدمرة ليست لأجل إحقاق الحق وإرساء الحقيقة، ولا لأجل إعلاء شأن الدين وإقرار العدالة، بل تستند إلى العناد والعصبية القومية والمصلحة النوعية وإشباع أنانية النفس، فترتكب مظالم شنيعة ومآسي أليمة لم ير مثلها في العالم"^(٢)، ويضرب على ذلك مثلاً "إفناء الأبرياء من أطفال وعوائل وشيوخ ومرضى بالقنابل المدمرة بحجة وجود جندي أو اثنين من جنود الأعداء فيما بينهم"... بينما الإسلام بريء بلا شك من مثل هذه الحروب المدمرة التي لا تنسجم مع أي قانون كان من قوانين العدالة، ولا مع الإنسانية، ولا مع أي دستور كان من دساتير الحقيقة وقوانين الحقوق"^(٣).

ويرى النورسي، وهو محق في ذلك، أن أحوال العالم الحاضرة في جوانبها السياسية والاجتماعية، وفي حروبها بالأخص، إنما هي تجل من تجليات غضب الله النازل عقاباً لضلالة المدنية الحاضرة وسفاهتها التي مكنت في القلوب الرغبات الفاسدة المضرة بدلاً من الحقائق الإيمانية الرفيعة النافعة"^(٤). ليس هذا فحسب بل أن العدالة الإلهية مضت لكي تنزل "بالمدينة الدنية التي أهانت الإسلام عذاباً أليماً ومعنوياً أرداها إلى درك الوحوش الجاهلين. فلقد أزلت تلك المخاوف المستمرة، ملذات وأذواق مدنية أوروبا والإنكليز مائة سنة وأذهبت عنهم نشوتهم من الرقي والتسلط على رقاب الآخرين ونشوة الاستيلاء عليهم. فلقد أذاقتهم العدالة الإلهية ذلك الخوف الرهيب، وقذفت على رؤوسهم قنابل الرعب والرهب والقلق والاضطراب"^(٥).

(١) المرجع نفسه، ص ٢٤٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٠٣.

(٣) المرجع والصفحة نفسها.

(٤) المرجع نفسه، ص ١٤٩.

(٥) المرجع نفسه، ص ١١٤.

والذي يقطع صلته بالسماء، وبكلمات الله ووحيه الذي يضبط ويوجه ويرشد، لا يمكن إلا أن يكون فاسداً، والذي يزرع الشوك والحسك لن يحصد إلا المرّ والعلمق، ف ﴿... مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ...﴾ (النساء: ١٢٣)، تلك هي - مرة أخرى - سنة الله في خلقه فلقد قامت الحضارة الأوربية - كما يؤكد النورسي - على أسس فاسدة، وادّعت أن كل ما أتاها هو من عندها كإدعاء قارون: ﴿... إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي...﴾ (القصص: ٧٨) ولم تشكر ربها الذي أحسن إليها بفضله وكرمه تعالى، ورجحت كفة سيئاتها على حسناتها، حيث سقطت في الشرك بفكرها المادي الملوث. إن هذه الحضارة تلقت صفة سماوية قوية بحيث أبادت ثمار مئات السنين من رقيها وتقدمها ودمرتها تدميراً وجعلتها طعمة للنار^(١).

ومع أهوال الحروب وخسائرها وويلاتها، سيل متدفق من التعاسات والعذاب في حضارة لا تعرف سوى اثنتين: اللذة والمنفعة، وليس ثمة وراءهما أيما ضابط ديني أو أخلاقي على الإطلاق "إن الشباب سيذهب حتماً، فإن كان قد انقضى في سبيل الملذات ونشوة الطيش والغرور، فسيورث آلاف البلايا والآلام والمصائب الموجهة سواء في الدنيا أو الآخرة. وان كنتم ترومون أن تفهموا بأن أمثال هؤلاء الشباب ستؤول حالهم في غالب الأمر إلى المستشفيات، بسبب تصرفاتهم الطائشة وإسرافهم وتعرضهم لأمراض نفسية... أو إلى السجون وأماكن الإهانة والتحقير بسبب نزواتهم وغرورهم... أو إلى الملاهي والخمارات بسبب ضيق صدورهم بالآلام والاضطرابات المعنوية والنفسية التي تتابهم... إن شئتم أن تتيقنوا من هذه النتائج فاسألوا المستشفيات والسجون والمقابر، فستسمعون بلا شك من لسان حال المستشفيات الأناث والآهات والحسرات المنبعثة من أمراض نجمت من نزوات الشباب وإسرافهم في أمرهم... وستسمعون أيضاً من السجون صيحات الأسى وأصوات الندم وزفرات الحسرات يطلقها أولئك الشبان الأشقياء الذين انساقوا وراء طيشهم وغرورهم فتلقوا صفة التأديب لخروجهم على الأوامر الشرعية..."^(٢).

وفي ضوء المبدأ القرآني: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً...﴾ (الأنفال: ٢٥). يمكن أن ندرك ما يذهب إليه النورسي من أن كل إنسان في الوقت

(١) المرجع نفسه، ص ١٠٩.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٧٧.

الحاضر، على الكرة الأرضية قاطبة، يتلقى نصيبه من المصائب الجارية إما قلباً أو روحاً أو عقلاً أو بدنًا، ويعاني من العذاب والرهق ما يعاني، ولا سيما أهل الضلالة والغافلين عن الرحمة الإلهية الشاملة والحكمة الكاملة، فمن حيث إنسانيتهم وعلاقتهم بالبشرية يتعذبون بالآلام الرهيبة المفجعة التي تعانيتها البشرية في الوقت الحاضر فضلاً عن آلامهم في أنفسهم^(١). "نعم! إن هذا العصر قد جعل حتى المسلمين يستحبون الحياة الدنيا ويرجعونها على الآخرة، على علم منهم ورغبة فيهم، كما تشير إليه الآية الكريمة ﴿...يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ...﴾ (إبراهيم: ٣)..."^(٢). وراحت تقاليد العصر وقيمه المادية المنبئة عن أسباب السماء تثقل كاهل الإنسان بمتطلبات الحياة، وتضيق عليه مواردها، وتحول حاجاته غير الضرورية إلى ضرورة بقوة التقليد وسلطته القاهرة، حتى أصبحت الحياة والمعاش هي الغاية القصوى والمقصد الأعظم للإنسان الذي أقام بنزواته هذه سداً دون الحياة الدينية والأخروية والأبدية، أو في الأقل جعلها أمراً ثانوياً، لذا جوزي على خطئه هذا بلطمة قوية شديدة حولت دنياه جحيماً لا يطاق^(٣). "نعم! إن هذا العصر الذي رفعت منه البركة من جرّاء الإسراف المتزايد وعدم مراعاة الاقتصاد، ومن عدم القناعة مع الحرص الشديد، فضلاً عن تزايد الفقر والحاجة والفاقة وهموم العيش، مما سبب جروحاً بليغة في تطلع الإنسان للعيش، وفي نزوعه لحفظ الحياة علاوة على تشعب متطلبات الحياة المرهقة، زد على ذلك استمرار أهل الضلالة بتوجيه كل الأنظار إلى الحياة. كل ذلك عمق تلك الجروح حتى دفع الإنسان إلى تفضيل أدنى حاجة من حاجات الحياة على مسألة إيمانية عظيمة"^(٤).

والحق، كما يؤكد النورسي، إن الكفر والضلالة تحقير عظيم للكائنات وظلم شنيع للموجودات، ووسيلة لرفع الرحمة الإلهية ونزول المصائب والبلايا^(٥). ليس هذا فحسب بل إن المدنية الغربية برؤيتها المادية الذرائعية الصرفة، مارست تمزيقاً قاسياً للعديد من المجتمعات التي تنتمي إليها ما بين بورجوازيين مترفين وفقراء مدقعين، الأمر الذي هباً الأجواء لاشتعال صراع قاسٍ بين الطرفين تمخض عن المزيد من

(١) المرجع نفسه، ص ١٥٢.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٤٦.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٤٥.

(٤) المرجع نفسه، ص ١٤٣.

(٥) المرجع نفسه، ص ١٢٤.

المصائب والويلات، فتحت سطوة المدينة الغربية المستبدة، المتميزة بإثارة سوء الاستعمال، والدفع إلى الإسراف، وتهيج الشهوات، وإدخال الحاجات والمطالب غير الضرورية في حكم المطالب والحاجات الضرورية، فقد أصبح الإنسان العصري من حيث حب التقليد والإدمان مفتقراً إلى عشرين حاجة بدلاً من أربع منها ضرورية. وقد لا يستطيع إلا شخصان من كل عشرين شخص أن يلبوا تلك الحاجات العشرين من مصدر حلال بشكل مباح، ويبقى الآخرون الثمانية عشر محتاجين وفقراء. فهذه المدينة الحاضرة إذا جعل الإنسان فقيراً جداً ومعوزاً دائماً، ولقد ساءت البشرية - من جهة تلك الحاجة - إلى مزيد من الكسب الحرام، وإلى ارتكاب أنواع من الظلم والغبن، وشجعت طبقة العوام المساكين على الصراع والتخاصم المستمر مع الخواص، وذلك بهجرها القانون الأساس الذي سنّه القرآن الكريم القاضي بوجود الزكاة وتحريم الربا والذي يحقق بواسطتهما توقير العامة للخاصة، ويوفر بهما شفقة الخاصة على العامة. فبهجرها ذلك القانون الأساس أرغمت البورجوازيين على ظلم الفقراء وهضم حقوقهم، وأجبرت الفقراء على العصيان والتمرد في معاملتهم معهم، فدمرت سعادة البشرية وراحتها وأمنها واطمئنانها وجعلتها أثراً بعد عين^(١).

باختصار شديد، فإن المدينة الغربية الراهنة، بسبب من سلوكها طريقاً مناقضاً لأسس دساتير السماء، وقيامها بمناهضتها، فقد طفح سيل سيئاتها على حسناتها، وثقلت كفة أضرارها على فوائدها. فلقد اضطرب أمن الناس واطمئنانهم، وأقلقوا وأسنت سعادتهم الحقيقية فاختل ما هو مطلوب من المدينة ومقصود منها^(٢). "نعم! إن المدينة الدنية الظالمة قد عوقبت، بكفرانها بالنعمة الإلهية وعدم إيفائها الشكر لله، تجاه ما أنعم عليها سبحانه من الخوارق الحضارية، لصرفها تلك الخوارق إلى الدمار حتى سلبت سعادة الحياة كلياً، وأردت الناس الذين يعدون في ذروة الحضارة والمدينة إلى أدنى دركات الوحوش الضالة، وأذقتهم عذاب جهنم قبل الذهاب إليها"^(٣).

وليس ثمة منفذ للخروج من المأزق سوى (التقوى) بكل ما تنطوي عليه من خشية لله والتزام بمطالب وحيه القادم من السماء، والتحقق بأقصى درجات الوفاق بين الإيمان

(١) المرجع نفسه، ص ٣٧٨-٣٧٩.

(٢) المرجع نفسه، ص ٣٧٧.

(٣) المرجع نفسه، ص ١٢٢.

والتحصّر باعتبار الأخير فعلاً إيمانياً منضبطاً بمعايير العلم الإلهي "ففي هذا الوقت الذي يتّسم بالدمار الأخلاقي والروحي، وبإثارة هوى النفس الإمارة، وبإطلاق الشهوات من عقالها، تصبح التقوى أساساً عظيماً جداً بل ركيزة الأسس، وتكسب أفضلية عظيمة، حيث أنها دفع للمفاسد وترك للكبائر... وحيث أن التيارات المدمرة أخذت تتفاقم في هذا الوقت، فقد أصبحت التقوى أعظم أساس وأكبر سدّ لصدّ هذا الدمار الرهيب"^(١).

المراجع

- بوازار: مارسيل: إنسانية الإسلام، ترجمة عفيف دمشقية، الطبعة الأولى، دار الآداب، بيروت - ١٩٨٠م.
جيوروجيو: كونستانتان: الساعة الخامسة والعشرون، ترجمة فائز كم نقش، الطبعة الثالثة، دار اليقظة العربية، دمشق - ١٩٦٦م.
خليل: عماد الدين: تهافت العلمانية، الطبعة الأولى، مؤسسة الرسالة، بيروت - ١٩٧٥م.
النورسي: بديع الزمان سعيد: كليات رسائل النور ٧، الملاحق في فقه دعوة النور، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، الطبعة الأولى، دار سوزلر للنشر، استانبول - ١٩٩٥م.

(١) المرجع نفسه، ص ١٦٩.